الأشغال الشاقة المؤبدة

للاديب فؤاد السيد خليل

قالت : ما هي مدة الأشغال الشاقة المؤبدة ؟ قال : خمس وعشرون سنة ، ينقص ربعها للذين يحافظون على النظام والطاعة في السجن ، فهل تريدين ارتكاب جناية ؟ فابتسمت وقالت : لقد ارتكبتها وقضى الأمر ! قال : أعوذ بالله ! ما ذا فعلت ؟ قالت : تزوجت ! وعلى الرغم من محافظتي على النظام والطاعة ، وتبرمي بما هو أكثر من النظام والطاعة ، لم تفته مدة عقوبتي بعد نيف وعشرين سنة ، ولا أظنها تنتهي أبداً ! قال : وما هو أكثر من النظام والطاعة ؟ قالت : العناية والتضحية والتشجيع ، ألم تستقل مرتين وتعرض حياتنا كلها للشقاء فشجعناك ! قال : إنما كنت أعرضها للسعادة ! قالت : هذه أمنية ! قال : على كل حال كانت محاولة لم تنجح ، وشكراً لك . وما هي الأشغال الشاقة التي تفعلينها ؟ ألا يقوم الخدم بأعمال المنزل ؟ قالت : أيقومون بها دون مساعدتي بل اشتراكي الفعلي ؟ ومع ذلك فهذه أمور يسيرة ! قال : أعندك بعد هذا ما يسمى أشغالا شاقة ؟ ! قالت : نعم ! الفكر ، والصبر ، والقهر ! قال : لا تبالغي ! قالت : إنك لا تنكر أننا لا نبلغك نكوارثنا إلا بالتدريج ، وبعد أن ننتهي من علاجها إن استطعنا ، وإنك قد تأتي من الخارج ، أو تصحو من نومك ، فلا تعلم كيف قضينا النهار أو الليل في قضايا وإسعاف وتمريض ! قال : ولا تنكري أنني لا أبلغكم مصائبي أبداً ، وأنني أعمل كالرجل الذي كان إذا أراد أن يدخل منزله ركع وقال للتعب والهم تفضلا فانزلا ! فإذا خرج من عتبة داره ركع ثانياً وقال لهما اركبا الآن يا ابني الزمان ! قالت : ولكننا نقرأ كل شيء في وجهك ونخبرك به ! فهل استطعت أنت مرة أن تقرأ ما نخفي عنك ؟ قال : أشهد أنني أميّ في قراءة الوجوه الناعمة ! فخبريني بما عندك ، وبالتدريج من فضلك . قالت : ابنك الكبير لم يكتب إلينا منذ بضعة شهور . قال : لأننا نكتب إليه ، ونسأل عنه ، ونحبوه عطفنا قبل أن يحتاج إليه ، فهل تحبين أن نضطره إلى الكتابة ؟ قالت : وهذا الطفل لا (يتعاطى) إلا الماء والشاي والبطيخ ! قال : أخشى أن يأتي يوم تشتكين فيه من أنه (يتعاطى) كل شيء ! قالت : لا تمزح ، فإني لم أبلغك إلا أخف الأخبار ! قال : فما الأخبار الثقيلة ؟ قالت : هذه البنت تلزمها عملية جراحية وقد تموت فيها . قال : الأعمار بيد الله ، والحكومة (الله يسترها) تنقل الموتى من الموظفين وعائلاتهم إلى بلادهم على نفقتها ، أما الأحياء فإنها تتركهم إلى أن يموتوا ! قالت : فما ذا كنت تريد ؟ قال : كنت أفضل أن تنقل الأحياء كل عشر سنوات (بدل وفاة) ولا تتركهم يموتون من الحر والقهر ! قالت : وإذا ماتوا ؟ قال : تدفنهم حيث يموتون ، فليسوا خيراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قالت : لا تخرج عن الموضوع ، فقد تشفى البنت و ... قال : وهذه مصيبة أخرى ! قالت : ألا تنظر أبعد من أنفك ؟ ! ألا تعلم ما يلزم لكل فتاة ؟ إنه هم ثقيل . قال : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . قالت : فإني لم أبلغك بعد أثقل الأخبار ! قال : هاتي أثقل ما عندك ! فابتسمت بحرارة وهي تقول : ابنك الثاني رسب في الامتحان كما تعلم و ... قال : نعم ، وسينجح في الملحق . قالت : كلا ! إنه يأبى أن يذاكر ولا يريد أن يدخل المدارس ! قال : لاشك أنه جُنّ ! قالت : لم يجن بعد ، ولكنه في دور المراهقة ، وأنت تعلم خطورة هذا الدور عليكم معاشر الذكور . قال : إنني لا أعلم هذا الدور على التحقيق يا عزيزتي ، لأنني ولدت بعده ! قالت : لا يغرنك أن عصمك الزواج المبكر ، فإن بعض الشيوخ يموتون وهم لا يزالون في دور المراهقة ! قال : أتعنين أنه (كالحصبة) لا بد أن يمر به كل إنسان ؟ قالت : نعم ، وهو على الكبار أخطر ! قال : فما العلاج ؟ قالت : للصغار الرياضة وللكبار الزواج . قال : فهل تنصحين لي إذن بأن أتزوج ؟ فابتسمت وقالت : نعم ! إذا مت أنا ووجدت من ترضى بك ! قال : أرجو إذن أن تموتي الآن أو لا تموتي أبداً ! قالت : أسأل الله أن أموت قبلك ! قال : بل اسأليه أن يعيش أحدنا حتى يربي الأطفال . قالت : وبم أربيهم أنا إذا بقيت لا قدر الله ؟ قال : بالمعاش ! قالت : وكم يكون هذا المعاش ، ومن يستطيع الحصول عليه ؟ ! ألم تقرأ أن والدة كاتب النيابة الذي قتله (الخط) في العام الماضي لا زالت تسعى للحصول على معاش ابنها بدون جدوى ! قال : أعجزت النساء أن يلدن من يستطيع حل هذه المشكلة ؟ قالت : إن النساء لم تعجز ، ولكن